إنهم يُراقَبون عن كَثَب ويُبهَظون بالضرائب ويُحْتَجَزون في أحيائهم ويُرغمون على ارتداء زيّ يفرّقهم عن الآخرين.

بدا الكاهن متأثّراً. وسعيداً.

ـ كلامكما هو الحقيقة بعينها، وقد لا نكون شكرنا الربّ بما يكفي على أعوام الرحمة التي مرّت بنا... فلم يكن شيء ممّا ذكرتماه قائماً بالفعل في (دَبْ). وكنا نعيش وسط الناس ونلبس الزيّ نفسه، ونحكي بصوت مرتفع.

وإذ قال ذلك فقد اختنق صوته وسال دمعه. وتحاشاه «ماني» و«مالكوس» و«پاتيغ» بأنظارهم وقد سُقط في أيديهم. والوجيه وحده وضع على كتفه المتداعية فجأة يداً بَنَويّة ومؤاسية. وكان الكاهن قد دعاه في أثناء التعارف «بر ـ توما» واصفاً إيّاه بأنه أكثر تاجر مسيحي في المدينة تمتّعاً بالاحترام. كانت بشرته سمراء داكنة لا لمعان فيها، وكانت شحمتا أذنيه مخروقتين على طريقة الهنود؛ ومع ذلك فإنه، نظراً لاسمه الخاصّ بأبناء بلاد (آرام)، لا بدّ أن يكون هجيناً.

كان قد ظلّ حتى ذلك الوقت صامتاً، بيد أنه إذ أدرك ثقل الاستغلاق الذي بدأ يرين فقد جهد في تبديده.

ـ أيها الزائرون الكرام، أتكونون الناس الوحيدين الذين يجهلون في هذه المدينة أن ملوكنا، الأمراء الكوشانيين، قد انهزموا على يد الجيش الفارسي وانكفأوا إلى ما وراء الأنهر الخمسة؟

كان يتحدّث بآرامية شبه سليمة نابراً معظم المقاطع نبرة مغلوطة كما يفعل كثير من المتديّنين المعتقدين بأن من واجبهم تعلُّم لغة الدين ولا تتاح لهم فرصة استعمالها في أحاديثهم اليومية. وعندما كانت تغيب كلمة عن باله كان يُحِلّ محلّها ما يعادلها في اليونانية وهو مستريح إلى أن كلّ شخص من الحاضرين يفهمها.

وألحّ في نفاد صبر ظاهر وفوراً: